

# صورة حسان في الشعر الجاهلي

د. أنور أبو سويلم  
جامعة مؤتة

رَبَطَ بَعْضُ الْمُؤرِّخِينَ الْعَرَبِ الْقَدَمَاءِ الْأَحْدَاثَ السِّيَاسِيَّةَ وَالْاجْتِمَاعِيَّةَ بِمِشَاعِرِ الْإِنْسَانِ وَأَفْكَارِهِ وَطُمُوحَاتِهِ، فَزَدُّوا الْأَشْعَارَ وَالْحُطْبَ وَالْأَمْثَالَ الَّتِي قِيلَتْ فِي الْمُنَاسِبَاتِ وَالْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ، وَتَنَبَّهُوا إِلَى أَهْمِيَّةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَنْفَعِلُ بِالْحَدِيثِ وَيَحْسُهُ وَيَتَأَثَّرُ بِهِ؛ فَسَجَّلُوا كَثِيرًا مِنْ جِذْمِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَمِشَاعِرِهِمْ شِعْرًا وَنَثْرًا، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤرِّخِينَ اتَّخَذُوا مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْأَمْثَالَ وَالْقِصَصِ وَثَائِقَ يُمْكِنُ بوساطتها أَنْ يُفْتَعُوا الْقَارِيءَ بِصِحَّةِ الْخَبَرِ، لِأَنَّ الشُّعْرَ اتَّخَذَ دَلِيلًا عَلَى الْخَبَرِ وَشَاهِدًا عَلَيْهِ يُسَاقُ مَعَهُ لِتُؤَكِّدَهُ. وَمِنْ هَذِهِ الزَّوَايَةِ كَثُرَ النَّحْلُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْقَدَمَاءِ، وَحَمَلَتْ رُؤَاةَ الْأَخْبَارِ غُثَاءً كَثِيرًا مِنَ الشُّعْرِ الَّذِي يَزِيدُ الْخَبَرَ ضَعْفًا أَكْثَرَ مِمَّا يَزِيدُهُ صِدْقًا وَإِشْرَاقًا وَإِحْسَاسًا، وَغَابَ دُورُ الْإِنْسَانِ فِي صِنَاعَةِ التَّارِيخِ. وَهَذِهِ أَوَّلُ عَقَبَةٍ تَوَاجَهَ مَنْ يَبْحَثُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الشُّعْرِ وَالْمُوروثِ الثَّقَافِيِّ الْقَدِيمِ؛ لِأَنَّ الشُّعْرَ أحيانًا فِي كِتَابِ التَّارِيخِ تَرْجُمَةٌ حَرْفِيَّةٌ مُضْطَنَّةٌ لِلرُّوَايَةِ التَّارِيخِيَّةِ.

والعقبة الثانية: أن الموروث الثقافي عند العرب مزيج من التاريخ والمعتقدات الدينية والخرافية والقصاص، والأمثال والأساطير، والخرافات، والملاحم الشعبية، ومن خلال ذلك يبرز الشعرُ خافتاً باهتاً مُجْتَرَأً. وكثيرٌ من الأحداث والأساطير والقصاص لم يُدَوَّنْ إِلَّا فِي فَتْرَةٍ مُتَأَخَّرَةٍ، وَلَقِيَ مِنَ الْمُؤرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ الْإِهْمَالَ وَالنَّقْدَ، وَكَانَتِ الْأَحْدَاثُ - غَالِبًا - تَخْضَعُ لِمَنْطِقِ الْمُفَسِّرِينَ وَوَقِيمِهِمْ خِدْمَةً لِكِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ، مُهْتَمِّينَ بِالْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ مِنْ مُجَمَّلِ الْأَحْدَاثِ. وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُؤَكِّدَ أَنَّ الصُّورَةَ الْقَدِيمَةَ لِلْقِصَصِ التَّارِيخِيِّ هِيَ نَفْسُهَا الصُّورَةَ الَّتِي رَوَاهَا الْمُؤرِّخُونَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْقَرْنِ

الثاني الهجري والقرون التالية؛ فقد أُسْقِطَ منها ما يتنافى وقيم الدين الإسلامي الحنيف وما يتعارض ومبادئه، وبقي من تراث الإنسان الجاهلي قليل من الأساطير والخرافات تكشف عن إنسان مُشوَّه لا ثقافة لديه ولا حضارة، فُوِّسَمَ بالجهالة، ووُصِمَ بالانحطاط، ونُعِتَ بالأميَّة.

وجاء القرآن الكريم يتحدث إلى القوم عن عادٍ وثمود والأمم الماضية، وما ألقوا من ثقافات وما وعوا من حضارات، ولم تكن طرفة أخبار الأمم القديمة مقصودة لذاتها، ولم يأت القرآن الكريم ليضيف معلومات جديدة إلى تاريخ العرب، وإنما كان الهدف العظة والعبرة والتدبر، ولو جاءهم بأخبار لم يسمعوا بها ولم يعرفوها لانصرفت عنايتهم إلى دحضها ومناقشتها وإنكارها، ولم نسمع أن وثبيي العرب ناقشوا الرسول - ﷺ - في مدى صحة الأخبار القرآنية؛ لأنهم يعرفونها بصورة مطابقة أو قريبة من التصوير القرآني لها، ولديهم - في مواضع معينة - معلومات أكثر تفصيلاً مما جاء في الذكر الحكيم.

ولا شك أن موروثاتهم عن الأمم القديمة لم تكن تأريخاً محضاً، وكانت أشعارهم عندما يتحدثون عن الأمم السالفة يختلط فيها التاريخ بالخيال والمعتقدات الخرافية والأساطير والرؤى الشعرية. وهذه مهمة الشاعر الحقيقية كما يرى أرسطو(١): «صانع حكايات وخرافات أكثر منه صانع أشعار». . . والشاعر الجاهلي كان يرتد كثيراً إلى الموروثات الثقافية والحضارية فيعيد صياغتها، ويُعبّر عن خلالها عن رؤاه وتصوراته للحياة والكون والوجود.

ونحن نؤمن بأن الشاعر الجاهلي كان يُعدُّ من صفوة المجتمع، وأنه كان - أحياناً - حكيم القبيلة ومثقفها، وكاهنها، وأنفذها إحساساً، وأقدرها

(١) أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م، ص ٢١.

على نقل مشاعره وتجاربه وثقافته ومعلوماته وتحويل المادة التراثية إلى مادة أدبية؛ لذلك كان البَحْثُ عن صورة عاد في الشعر الجاهلي مُقَدِّمَةً صالحةً لبحثِ أَشْمَلِ وأوسع في علاقة الشعر الجاهلي بالموروثات الثقافية، وله أهمية خاصة؛ لأنه يكشف عن المُكوِّنات الثقافية للأمة العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى يكشف عن ثقافة الإنسان الجاهلي وطرائق تفكيره عندما يَرْتَدُّ إلى الحضارة التي مرَّت بها الأمم القديمة، ويدفع من جانب آخر شكوك بعض المستشرقين والباحثين في حقيقة وجود (عاد) التي عدَّها بعضهم في زُمْرَةِ الأَقْوَامِ الخُرَافِيَّةِ التي ابتدَعَتْهَا مخيلةُ الرواة.

اضْطَلَحَ المُوَرِّخُونَ على تسمية «عاد وثمود وطسم وجديس» العرب البائدة، ولعلَّ هذه التسمية جاءت من الآية الكريمة (٢). ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ وكانت (عاد الأولى) في زَعْمِهِمْ من أعظم الأمم بَطْشًا وقوةً، وهم المُشار إليهم في الذِّكْر الحَكِيمِ. أمَّا عاد الأخيرة فهم بنو تميم وينزلون برمال عالج (٣).

وكان أمرُ عادٍ عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه كما يقول الطُّبْرِي (٤). لذلك بقوا في ذاكرة أهل الأخبار؛ لأنَّهم - كما يقول جواد علي (٥) - عاشوا بعد ميلاد السيِّد المسيح، وبنيتهم هود عليه السَّلام.

وسكنت عاد الأولى في الأحقاف بين حضرموت واليمن، وقيل: في

(٢) سورة النجم، الآية ٥٠ - ٥١.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب، الدار المصرية للتأليف (د. ت) مادة (علاج).

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الطبري، المطبعة الحسينية ١٣٢٦هـ، ج ١ ص ٢٣٢.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م، ج ١، ص ٣٠٠.

موضع بئر (إرم) في منطقة حسمى بين أيلة وسيناء (٦)، وزعم المؤرخون أنَّ (إرم) المذكورة في القرآن الكريم (٧): «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ» مدينة من عهد عاد بين عَدَن وحضرموت، وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية (٨). ويُفهم من القرآن الكريم أنَّ مساكن (عاد) بالأحقاف، قال تعالى (٩): «وَأَذْكَرٌ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ» والأحقاف: الرَّمْلُ بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشَّحْر، وقيل: رمال بأعْيَانِهَا في أسفل حضرموت (١٠). وينسبون إلى عاد ولداً اسمه «شَدَاد» نَسَجُوا حَوْلَهُ قَصَصاً خيالية (١١).

وإذا عُذْنَا إلى الشَّعْرِ الجاهلي لِنَتَلَمَّسَ موروثات العرب الثقافية عن قوم عاد فسنجدها متشعبة كثيرة، تمتزج فيها الحقيقة بالأسطورة، والواقع بالخيال، وللشعراء رموزٌ ورؤىٌ شعرية فيما يروى عن الأقدمين تصدر عن صورٍ موحدة، وأنماطٍ من التفكير متشابهة.

(١)

تَخَيَّلِ الجاهليون عاداً أمةً قديمة جداً، بل هي أقدم الأمم، فقالوا في أمثالهم (١٢): «أَقْدَمُ من عاد» ودخلت «عاد» في الحسِّ اللُّغوي العربي لَتُمَثَّلَ القِدَمُ وبعْدَ العَهْدِ، وتَطَاوَلَ الأَمَدُ، فيقولون: «عَادِيٌّ» و «إِرْمِيٌّ» عندما

(٦) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م، ج ١ ص ١٩٦.

(٧) سورة الفجر، الآية ٦-٧.

(٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٩) سورة الأحقاف، آية ٢١.

(١٠) ابن منظور، اللسان، مادة (حقف).

(١١) قصة شداد بن عاد، لمؤلف مجهول، مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.

(١٢) القالي، كتاب أفعال من كذا، حققه: محمد بن عاشور، تونس، ١٩٧٠م ص ٧٤.

يُنْسَبُونَ شَيْئاً إِلَى الْقِدَمِ، كَالْأَشْجَارِ الضَّخْمَةِ، وَالْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ، وَالْأَبَارِ الْعَظِيمَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (١٣)

وَكَمْ نَادَيْتُهُ فِي قَعْرِ سَاجٍ بَعَادِيَّ الْبِنَارِ فَمَا أَجَابَا  
وقال آخر (١٤):

دَعَوْنَاهُ مِنْ عَادِيَّةٍ نَضَبَ مَأْوَاهَا وَهَدَمَ جَالِيهَا اخْتِلَافُ عَصُورٍ  
وجعل عمرو بن معد يكرب «السَّاعِدَ» عادياً طويلاً مفاصل الأصابع،  
قال (١٥):

لَهُ هَامَةٌ مَا تَأْكُلُ الْبَيْضَ أَمَّهَا وَأَشْبَاحُ عَادِيٍّ طَوِيلِ الرَّوَابِجِ  
والبَيْتُ الْعَادِيُّ: الْقَدِيمُ الَّذِي لَا يُعْرَفُ بَانِيهِ، وَكَأَنَّهُ مِنْ مُخْلَفَاتِ قَوْمِ  
عَادٍ، وَالْعَرَبُ يَرْمُزُونَ بِالْبُيُوتِ إِلَى الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَأْتَرِ وَالرَّفْعَةِ وَالشَّرَفِ،  
قَالَ أَبُو الْبُرْجِ، الْقَاسِمُ بْنُ حَنْبَلٍ: (١٦)

فَأَمَّا بَيْتُكُمْ إِنْ عُدَّ بَيْتٌ فَظَلَّ السَّمْكُ وَاتَّسَعَ الْفِنَاءُ  
وَأَمَّا أَسُّهُ فَعَلَى قَدِيمٍ مِنْ الْعَادِيِّ إِنْ ذُكِرَ الْبِنَاءُ  
وقال عامر المحاربى (١٧):

(١٣) الألويسي، محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، حققه:  
محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) ج ٣ ص ٣.

(١٤) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤.

(١٥) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، الديوان، تحقيق: مطاع الطرايشي، طبعة مجمع اللغة  
العربية، دمشق ١٩٧٤ م، ص ٥١، وانظر قول كثير «بِهِ قَلْبٌ عَادِيَّةٌ وَكُرُورٌ» لسان العرب،  
مادة (عود).

(١٦) المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ): شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد  
أمين وعبد السلام هارون، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣ م، ج ٤،  
ص ١٦٥٩.

(١٧) المفضل الضبي (١٧٨ هـ): المفضليات، حققه أحمد شاكر، دار المعارف ١٩٧٩ م ص  
٣٢٠.

وَنُرْسِي إِلَى جُرْثُومَةٍ أَدْرَكْتُ لَنَا حَدِيثًا وَعَادِيًّا مِنَ الْمَجْدِ خِضْرَمًا

وبذلك فَسَّرُوا قول الحارث بن جِلْزَةَ اليشكري (١٨):

إِرْمِي بِمِثْلِهِ جَالَتْ الْجِدْ سَ فَاَبَتْ لِخِضْمِهَا الْأَجْلَاءُ

نسبة إلى إرم عاد، أي: مُلْكُهُ قَدِيمٌ كان على عهد عاد إرم، وقال بعضهم: كَأَنَّ هذا الممدوح من إرم عاد في الجلم، كما قال الأغلب العجلي (١٩):

جَاءُوا بِشَيْخَتِهِمْ وَجِئْنَا بِالْأَصَمِّ شَيْخٌ لَنَا كَانَ عَلَى عَهْدِ إِرَمِ

وقال آخرون: ذهب إلى أن جسمه وقوته يُشْبِهَانِ أجسام عادٍ وشِدَّتْهُم (٢٠).

وَيَدْعُونَ أَنْ سُوفَهُمْ وَدُرُوعَهُمْ وَتُرُوسَهُمْ قَدِيمَةٌ عَادِيَّةٌ، كناية عن مَجْدِهِمُ الْمُؤْتَلِّ، وبأسهم القديم، وَأَنَّهُمْ وَرِثُوا الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالتَّضْحِيَةَ عن أجدادهم القداماء، قال راشد بن شهاب اليشكري (٢١):

لِعَادِيَّةٍ مِنَ الرَّمَاحِ اسْتَعْرَتْهَا وَكَانَ بِكُمْ فَقْرٌ إِلَى الْعَدْرِ أَوْ عَدَمٌ

وهذا المعنى مكرر في أشعارهم (٢٢):

---

(١٨) الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ص ٤٩٢.

(١٩) المصدر السابق، وحماسة ابن الشجري ص ٣٧. وهذا الرجز ينسب إلى عباس الأصم الرُّعْلِي فِارِسِ بَنِي سَلِيمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. انظر: ديوان الخنساء بشرح نعلب، حققه: أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن ١٩٨٨م ص ٣٧٧.

(٢٠) المصدر السابق ص ٤٩٣.

(٢١) المفضل بن محمد الضبي (ت ١٧٨ هـ): المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٧٩م ص ٣٠٩.

(٢٢) انظر: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، تحقيق: مطاع الطرايبي، طبعة دمشق ١٩٧٤م، ص ٩٣.

قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

وسيفي كان من عهد ابن ضدَّ  
وقال الحصين بن الحُمام :

مُضَعَّفَةَ السَّرْدِ عَادِيَّةً  
وغضب المَضَارِبِ مِفْضَالَهَا  
وقال زهير بن أبي سلمى :

وأخرين تَرَى المَآذِيَّ عُدَّتَهُم  
من نَسَجِ داود ما قد أورثت إرْمُ  
وكان للحجارة العاديَّة القديمة أهمية بالغة، فقد عَدَّ العَرَبُ الأنصَابَ  
العاديَّة وأقسَموا بها،

قال المهلهل بن ربيعة (٢٣) :

كلاً وأنصَابٍ لنا عاديَّة  
معبودةٍ قد قُطِعَتْ تَقْطِيعًا  
ووصف زهير بن أبي سلمى طريقاً قديماً فقال (٢٤) :

وأبيض عاديٍّ تَلُوحُ مُثُونُهُ  
على البِيدِ كالسَّيْحِ اليماني المَبْلُجِ  
ووصف امرؤ القيس إبل رجل بـ «إرْمِيَّات» (٢٥) :

رُبُّهَا أَوْضَعُ جَرْمٍ وَاحِداً  
في لِقَاحِ إرْمِيَّاتٍ رُقْدِ (٢٦)

==  
وشعراء النصرانية قبل الإسلام، جمع: لويس شيخو، دار المشرق، بيروت  
١٩٦٧م، ص ٧٣٤ وديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار  
الآفاق، بيروت ١٩٨٢، ص ١٢٣. المآذِي: الدَّرُوع اللينة.

(٢٣) شعراء النصرانية قبل الإسلام، ص ١٧٢.

(٢٤) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ٢٣٧.

(٢٥) امرؤ القيس بن حجر (ت ٥٤٠م): الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار  
المعارف بمصر ١٩٦٤م، ص ٢١٥.

(٢٦) أَوْضَعُ جَرْمٍ: أَبْخَل مَن فِي الحَيِّ، اللَّقَاحُ: النوق التي أتى عليها من حَمَلها شهران أو  
ثلاثة، الرُقُود: التي تَمَلأ من ألبانها الأَرْفَاد، وهي الأقداح.

وقالوا: الإبل العَيْدِيَّة نَجَائِبٌ مَعْرُوفَةٌ مَنَسُوبَةٌ إِلَى عَادٍ،

قال رذاذ الكلبي (٢٧):

ظَلَّتْ تَجُوبُ بِهَا الْبِلْدَانَ نَاجِيَةً عَيْدِيَّةٌ أُرْهِنَتْ فِيهَا الدَّنَائِيرُ

وإذا وصفوا شيئاً بالخلاء والفغار قالوا: «ما به من إزمٍ وإزمٍ».

قال المرقش الأكبر (٢٨):

أُمِسْتُ خَلَاءً بَعْدَ سُكَّانِهَا مُقْفِرَةٌ مَا إِنَّ بِهَا مِنْ إِزْمٍ

وقال زهير بن أبي سلمى (٢٩):

دَارَ لِأَسْمَاءَ بِالْغَمْرَيْنِ مَائِلَةٌ كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أِزْمٌ

قال ابن سيده: (٣٠) الإزم والأزم: الحجارة، والآرام: الأعلام،  
وخص بعضهم بها أعلام (عاد)

وقال اللحياني: أُرْمِيٌّ وَإِرْمِيٌّ، والأزوم: الأعلام، وقيل: هي قبور  
عاد. وعمَّ به أبو عبيدة، فقال: هي الأعلام.

ومن إزم اشتقوا «الأرومة» وهي أصل الشجرة، الراسخ القديم  
المؤثَّل، وتُعني الشرف القديم، والمآثر والحسب، قال أبو جندب  
الهدلي (٣١):

أَوْلَاكَ نَاصِرِيٌّ وَهُمْ أُرُومِيٌّ وَيَعْضُ الْقَوْمِ لَيْسَ بِنَدِيٍّ أُرُومٍ

(٢٧) ابن منظور: اللسان، مادة (عود).

(٢٨) المفضل الضبي، المفضليات ص ٢٢٩.

(٢٩) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١١٦.

(٣٠) ابن منظور: اللسان، مادة (أزم).

(٣١) المصدر السابق، مادة (أزم).

وقال الأعشى (٣٢):

ما فَوْقَ بَيْتِكَ مِنْ بَيْتٍ عَلِمْتُ بِهِ      وفي أُرُومَتِهِ مَا مَنَّبَتُ الْعُودِ

وقال زهير (٣٣):

لَهُ فِي الدَّاهِيَيْنِ أُرُومٌ صِدْقٍ      وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أُرُومٌ

ويتردد في الشعر الجاهلي ادعأؤهم ملكية الجبال والجمى ، وموارد

المياه من عهد عاد، قال أبو دواد الإيادي (٣٤):

أَلَا أَبْلِغُ خُرَاعَةَ أَهْلِ مُرٍّ      وَإِخْوَتَهُمْ كِنَانَةَ عَنِ إِيَادِ  
تَرَكْنَا دَارَهُمْ لَمَّا شَرَوْنَا      وَكُنَّا أَهْلَهَا مِنْ عَهْدِ عَادِ

وقال رجل من طىء (٣٥):

وَبِالْجَبَلَيْنِ لَنَا مَعْقِلَانِ      صَعَدْنَا إِلَيْهِ بِسُمْرِ الصَّعَادِ  
مَلَكْنَاهُ فِي أَوْلِيَّاتِ أَرْمَاءِ      لِي مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَمِنْ قَبْلِ عَادِ

وقال قبصة بن جابر: (٣٦)

وَتَيْمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادِ      حَمَيْسَاهَا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي

(٣٢) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت ٦٢٤هـ): الديوان، حققه: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م ص ٣٢١.

(٣٣) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١٥٤، وانظر ديوانه أيضاً ص ٢٣٢، ٢٨٢.

(٣٤) المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، طبعة الصاوي، مصر، ص ١٧٥.

(٣٥) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ): الإكليل، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، بغداد، ١٩٨٠م، ج ١ ص ٩٠.

(٣٦) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د). (ت) ج ١ ص ٢٩٥.

وقال بشامة بن حزن: (٣٧)

من عهد عادٍ كان معروفاً لنا أسرُ الملوك وقتلها وقتالها  
ورأى بعضُ المستشرقين أن كلمة (عاد) لم تكن أسمَ علم في  
الأصل، بل كان يُراد بها القدم، وأن (من عهد عاد) و(عادي) يعني منذ عهدٍ  
قديم جداً، وأن المعنى هو الذي حملَ الناس على وضع تلك الأساطير عن  
أيام عاد، وهي أقوام خرافية لا أساس لوجودها (٣٨).

وما أوردناه من أشعار جاهلية يدخض هذا الاستنتاج وسيأتي في  
مواضع من هذا البحث ما يدلُّ على معرفة العرب بأخبار عاد وقصصهم  
وأحوال معيشتهم وصفاتهم.

(٢)

جاء ذكر عاد في القرآن الكريم متصلاً بثمود في أربعة وعشرين  
موضعاً، وأن ثمود خلقتهم في مساكنهم الرفهة وبنانهم الشامخ، وقصورهم  
المنحوتة في الجبال، وما تمتعوا به من رعد العيش في جنات وعيون،

(٣٧) أبو تمام، ديوان الحماسة ج ١ ص ١٥٠.

وانظر قول الطرماح من شعراء العصر الأموي:

لنا الجبلان من أزمان عادٍ ومُجتمَع الألاءِ والعِصاهِ  
وقول آخر:

نمُدُّ عليه من يمينٍ وأشْمَلِ بِحُورٍ له من عهد عادٍ وتَبَعَا

لسان العرب، مادة (عود)

وقبيلة سويد بن أبي كاهل الشكري غلبت قوم عاد ومن جاء بعدهم: قال:

غلبت عاداً ومن بعدهم وأبث بعد فليس تتضع

انظر: شعراء النصرانية، ص ٤٣٢.

(٣٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ٣٠٨.

وزروع ونخل فرحين، وما كان من جُحودهم لآيات رَبِّهم وكفرهم بنبي الله  
(هود)، وأن الله عذبهم بريحٍ صرصرٍ عاتية (٣٩).

وفي القرآن الكريم ثلاث سور تتصل بـ (عاد): (هُود) و (لُقْمَان) و  
(الأحقاف). وفي ذاكرة الإخباريين أساطير ومبالغات لا يقبلها العقل فيما  
يتصل بثناء عاد وما أوتوا من نعيم، روي أن شداد بن عاد كان قوياً جباراً  
سَمِعَ بوصف الجنة فأراد بناء مدينة تفوقها حسناً وجمالاً، فجمع ما في  
الأرض من ذهب وفضة ودرّ وياقوت، فابتنى مدينة (إرم) باليمن لكنه لم  
يتمتع بها لكفره بنبوة هود، إذ أهلكه الله وسحقه (٤٠).

ويبدو أن حكاية شداد بن عاد قد نسجت من أحيلة القصص  
والمفسرين المسلمين في القرن الثاني الهجري معتمدين على ما جاء في  
القرآن الكريم وأخبار الجاهليين عن ثراء عاد وبطشهم وشموخ بنيانهم.

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى «أصناع» عاد وهي حُصون  
وقصور منحوتة في الجبال، لكن هذه الأصناع لم تدفع عنهم المنية ولم تقهم  
غوائل الدهر والمصير المحتوم.

وعندما يعرضون لحتمية الموت ونفاهاة ما يختصمون عليه، ويطش  
الدهر يتعزّون بمصائر من قبلهم من الأمم القديمة ذات البأس والشدة،  
والمصير عاد «ذوي النعم» و «أصحاب الأصناع» و «أصحاب الملوك» لكن  
المال والملوك والقوة لا تدوم، ولا تدفع المنية عن البشر. قال عمرو بن

(٣٩) انظر القرآن الكريم: سورة الأعراف، آية ٦٥، ٧٤، التوبة آية ٧٠، هود آية ٥٠، ٥٩،

٦٠، إبراهيم آية ٩، الحج، آية ٤٢، الشعراء، آية ١٢٣، ص آية ١٢، غافر آية ٣١،

فصلت، آية ١٣، ١٥، الأحقاف، آية ٢١، ق آية ١٣، الذاريات آية ٤١، القمر آية ١٨،

الحاقة آية ٤-٦، الفجر آية ٦، الفرقان، آية ٣٨، العنكبوت، آية ٣٨، النجم، آية ٥٠.

(٤٠) انظر قصة شداد بن عاد، مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.

قميئة: (٤١)

قد كَانَ من غَسَّانَ قَبْلَكَ أُمَّ  
فتتَوَجُّوا مُلْكاً لَهُم هِمٌّ  
لا تَحْسِبَنَّ الدَّهْرَ مُخْلِدَكُمْ  
لو دام دَامَ لَتُبْعَ وذَوِي آلِ  
لَاكُ ومن نَصَرَ ذُوو نَعَمٍ  
فَفَنُّوا فَنَاءً أَوَائِلِ الأُمَّمِ  
أو دائِماً لَكُمْ ولم يَدُمِ  
أَصْنَاعِ من عَادٍ ومن إِرَمِ

وضرب عمرو بن معد يكرب الزبيدي المثل بملوك اليمن وعاد وما كانوا عليه من نعيم ومُلْك وجبروت؛ لكنَّهم بادوا وتحوَّل ملكهم إلى مَنْ جاء بعدهم. قال لقيس بن المكشوح عندما تهدده: (٤٢)

أَتَوْعِدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ  
وكائِنَ كَانَ قَبْلَكَ من نَعِيمِ  
قديمٍ عَهْدُهُ من عَهْدِ عَادِ  
فَأَمْسَى أَهْلُهُ بِأَدْوَا وَأَمْسَى  
بأَفْضَلِ عَيْشَةٍ أو ذُو نُؤاسِ (٤٣)  
ومُلْكٍ ثَابِتٍ في النَّاسِ رَاسِي  
عَظِيمِ قَاهِرِ الجَبْرُوتِ قَاسِي  
يُحَوَّلُ من أَناسِ في أَناسِ

ويرى سليمان بن ربيعة الثعلبي أن الحياة لا لذة فيها ولا نعيم، ما دام الدهر يتحكم في أعمار البشر، وما دامت أمم عظيمة لم تُخَلد وزال عنها ملكها ونعيمها، قال: (٤٤)

مَالِدَةُ العَيْشِ وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ (م) وَالدَّهْرُ ذُو فُنُونِ

(٤١) عمرو بن قميئة، الديوان، حقيقه: حسن كامل الصيرفي، طبعة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٤٢) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، شعره، حقيقه: مطاع الطراييشي، دمشق ١٩٧٤م ص ١١٧ - ١١٨.

(٤٣) ذورُعَيْن: أحد ملوك اليمن، ورُعَيْن جِصْنُهُ، ذُو نُؤاس: صاحب الأخدود.

(٤٤) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٨م ج ١ ص ١٩٥.

أَهْلَكَ طَسْماً وَقَبْلَ طَسْمٍ      أَهْلَكَ عَاداً وَذَا جُدُونِ  
 وَأَهْلَ جَاشٍ وَمَارِبٍ بَعْدَ (م) حَيِّ لُقْمَانَ وَالتُّفُونِ (٤٥)،  
 وَالْيُسْرُ لِلْعُسْرِ وَالتَّغْنَى      لِلْفَقْرِ وَالْحَيِّ لِلْمُنُونِ

(٣)

وقد أشار القرآن الكريم إلى هلاك عاد بالريح ، قال تعالى : (٤٦) ﴿ وَأَمَّا  
 عَادُ فَأَهْلِكُوهَا كَمَا هَلَكَ لُوطُ فَهُمْ عَادُوا لِطُغْيَانِهِمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ أما الشعراء الجاهليون فنسبوا هلاك عاد  
 إلى «الزَّمَن» و«الحَادِثَات» و«رَيْبِ الدَّهْرِ» و«الغُول» :

قال الأعشى : (٤٧)

أَلَمْ تَرَوْا إِزْمًا وَعَادًا      أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ  
 بَادُوا فَلَمَّا أَنْ تَادُوا      قَفَى عَلَى إِنْزِهِمْ قُدَارُ

وقال زهير : (٤٨)

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيَا      وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تَبَعًا      وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَعَادِيَا

وقال عدي بن غطيف الكلبي : (٤٩)

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا      وَالِدَّهْرُ يَعْذُو عَلَى الْفَتَى جَدْعَا  
 كَمَا سَطَا بِالْأَرَامِ عَادٌ وَبِالِ      حَجْرٍ فَأَرْكِي لِتُبْعِ تَبْعَا

(٤٥) التفون : يتوتفن بن عاد ، اللسان ، مادة (تقن) .

(٤٦) الحاققة ، آية ٦ .

(٤٧) الأعشى ، الديوان ص ٣٣١ .

(٤٨) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ص ٢٠٩ .

(٤٩) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ج ٧ ص ٢٥٦ .

وقال رجل من عبس: (٥٠)

ليس أمرؤ خالداً والموت يطلبه  
هازيك أجساد عادٍ أصبحت جيفاً

وقال أبو وجرة السعدي: (٥١)

صبيتُ عليكم حاصبي فتركتكم  
كأصرامٍ عادٍ حين جللها الرمذ

وقال رشيد بن رميض العبيري (٥٢):

«من يلقني يود كما أودت إرم».

وقال متمم بن نويرة: (٥٣)

ولقد علمت ولا محالة أنني  
أفنين عاداً ثم آل محرق  
ذهبوا فلم أدركهم ودعتهم  
للحادثات فهل تريني أجزع  
فتركهم بلداً وما قد جمعوا  
غول أتوها والطريق المهيع

(٥٠) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٨٨.

(٥١) ابن منظور، اللسان، مادة (رمد).

(٥٢) أبو تمام: ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د. ت) ج ١ ص ١٣٣.

وهذا البيت منسوب إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي،

انظر: ديوانه، ص ١٧٢.

وانظر أيضاً قول الأفوه الأودي:

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم  
كانوا كمثل لقيم في عشيرته  
أو بعده كقذار حين تابعه  
وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا  
إذ أهلك بالذي قد سدّى لها عاد  
على الغواية أقوام فقد بادوا

عبد العزيز الميمني: الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ص ٩.

وهذا المعنى مكرر في الشعر الجاهلي، كقول الفند الزماني:

«لقيت تغلب كعصبة من عاد وقول الأسود بن يعفر:

«وأسيابه أهلكن عاداً وأنزلت...» انظر: شعراء النصرانية ص ٢٤٣، ٤٨٤.

(٥٣) المفضل الضبي، المفضليات ص ٥٣.

واستغل خدّاش بن زهير عمليّة إبادة عادٍ في تصوير إبادة مرّة والقبائل  
المُعادية، واستقطب في هذا التصوير دلالات الألفاظ بنحوٍ يحدّد تماماً رؤيته  
الشعرية لهذا الحدّث التاريخي الهائل، قال: (٥٤)

عَدَدْتُمْ عَطْفَتَيْنِ وَلَمْ تَعُدُّوا      وَقَائِعَ قَدْ تَرَكْنَكُمْ حَصِيدًا  
تَرَكْنَا عَامِرِيَهُمْ مِثْلَ عَادٍ      وَمُرَّةَ أَهْلِكُوا إِلَّا الشَّرِيدَا

ويحوّل عديّ بن زيد العبادي فكرة الفناء الذي أصاب الأمم القديمة  
إلى الحنانِ جنازيةٍ يُعزّي بها البشرية فيما يُشبه المرثاة الإنسانية لكل إنسان  
يُغيي الحياة والبقاء خلافاً لِسنة الحياة. قال: (٥٥)

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ      ثُمَّ عَادٌ وَمَنْ بَعْدَهُمْ ثُمُودُ  
أَيْنَ آبَاؤُنَا وَأَيْنَ بَنُوهُمْ      أَيْنَ آبَاؤُهُمْ وَأَيْنَ الْجُدُودُ  
سَلَكُوا مَنَهِجَ الْمَنَايَا فَبَادُوا      وَأَرَانَا قَدْ كَانَ مِنَّا وُرُودُ

وقال عدي أيضاً: (٥٦)

أَبَا شَرِيحٍ فَلَا تَحْزُنْكَ عِشْرَتُنَا      فَالْمَرَّةُ زَهْنٌ لَرَيْبِ الدَّهْرِ وَالْحُمَمِ  
إِنَّ الْأَسَى قَبْلَنَا جَمٌّ وَنَعْلَمُهُ      فيما أُدبِلَ مِنَ الْأَجْدَادِ وَالْأُمَمِ  
مَنْهُمْ رَأَيْتُ عِيَانًا أَوْ تُخْبِرُهُ      وما تُحَدِّثُ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ  
وَدُونَ ذَلِكَ كَمْ مَلِكٍ وَمَغْبِطَةٍ      بَادُوا وَكَانُوا كَفَيَّ الظَّلِّ وَالْحُلْمِ

ولم يرد في الشعر الجاهلي إبادة عادٍ بالريح إلا في قصيدة لعبيد بن

---

(٥٤) خدّاش بن زهير العامري، شعره، صنعة: يحيى الجبوري، طبعة مجمع اللغة العربية  
بدمشق ١٩٨٦م ص ٤٥.

(٥٥) عدي بن زيد العبادي، الديوان، حققه: محمد جبار المعيد، دار الجمهورية، بغداد  
١٩٦٥م، ص ١٢٢.

(٥٦) عدي بن زيد العبادي، الديوان ص ١٧٠.

الأبرص، قال فيها: (٥٧)

وَحَيْرَنِي ذُو الْبُؤْسِ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ      خِصَالًا أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدِ بَرَقَ  
كَمَا خَيْرَتْ عَادَ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً      سَحَابٌ مَا فِيهَا لِذِي خَيْرَةٍ أَنْقُ  
سَحَابٌ رِيحٍ لَمْ تُوَكَّلْ بِبِلْدَةٍ      فَتَرَكُهَا كَأَنَّهَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ (٥٨)

ولا شك أن هذه الأبيات صدى للموروث الشعبي في قصة هلاك عاد، إذ يروى في حكاية الاستسقاء أن الله أنشأ سحاباً ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء، ونودي قيل عاد: اختر لنفسك ولقومك. فاختار السحابة السوداء لأنها أكثر مطراً، فلما رآوها قالوا: هذا عارضٌ مُمطرٌنا، فأخذتهم صاعقة العذاب ودمرتهم الريح الصرصر تدميراً. ولا أستبعد النحل في هذه الأبيات التي لم أجد لها نظيراً في الشعر الجاهلي.

وفسر علماء المسلمين الريح الصرصر العاتية المذكورة في الذكر الحكيم، فقال التبريزي (٥٩): من الرياح الدُّبُور، وهي المذكورة في القرآن، وعنه عليه السلام، قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدُّبُور» وفي ذلك يقول أبو شجاع:

إِنَّ الرِّيحَ الدُّارِيَّاتِ أَرْبَعُ      مِنْهَا النُّعَامِي وَالصَّبَا وَالزُّعْرَعُ  
ثُمَّ الدُّبُورُ مَرُّهَا لَا يَنْفَعُ      قَدْ أَهْلَكَتْ عَادَ بِهَا وَتُبِعُ

(٤)

ومن (عاد) شهر لقمان الحكيم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم،

(٥٧) عبيد بن الأبرص، الديوان، حققه: حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٨٨.

(٥٨) الأتق: الإعجاب والسرور، الطلق: سير الليل لورد الغب وهو أن يكون بين الإبل والماء ليلتان وبعده القرب.

(٥٩) التيفاشي، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، حققه: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٣١٠.

وسُمِّيت سورةٌ بِاسْمِهِ، ووصَّفه اللهُ - تعالى - بِالْحِكْمَةِ، وله وصايا في ابنه  
ذائعةٌ مشهورةٌ (٦٠). وَضَرَبَ الْعَرَبُ بِحِكْمَتِهِ الْمَثْلَ (٦١). وقالوا إنه عُمَرُ  
خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ وَسِتِّينَ، فكان عُمُرُهُ مَضْرُوبَ الْأَمْثَالِ (٦٢).

وَيَذْكَرُ أَهْلُ الْأَخْبَارِ (٦٣) أَنَّ عَادًا أَصَابَهُمْ قَحْطٌ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، فَجَهَّزُوا  
وَقَدَّأُوا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ «لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ» وَآخَرُونَ،  
فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ نَزَلُوا بِظَاهِرِهَا عِنْدَ بَكْرِ بْنِ مَعَاوِيَةَ زَعِيمِ الْعَمَالِيقِ، وَأَقَامُوا  
عِنْدَهُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَتُغْنِيهِمُ الْجَرَادَتَانِ، وَنَسُوا مَا جَاءُوا مِنْ أَجْلِيهِ. ثُمَّ  
خَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِمْ سَحَابًا فَاسْتَبَشَرُوا بِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ رِيحًا فِيهَا كَسْهَبُ النَّارِ سَخَّرَهَا اللَّهُ - تعالى - عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ  
وِثْمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا، وَكَانَ تَخَلَّفَ مِنَ الْوَفْدِ «لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ» الَّذِي لَادَ بِالْكَفَّةِ  
وَتَضَرَّعَ وَسَأَلَ اللَّهَ الْخُلُودَ، فَنُودِيَ أَنْ قَدْ أُجِبتْ دَعْوَتُكَ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى  
الْخُلُودِ، وَلَكِنْ اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ عُمَرَ سَبْعِ بَقَرَاتٍ عُفْرِ فِي جَبَلٍ وَعُغْرٍ، أَوْ عُمَرَ  
سَبْعَةِ أَنْسُرٍ، إِذَا مَاتَ نَسْرٌ تَبِعَهُ آخَرٌ، فَاخْتَارَ النُّسُورَ، فَعَاشَ عَمْرًا طَوِيلًا،  
وَكَانَ آخِرُ النُّسُورِ اسْمُهُ «لُبْدٌ» مَاتَ بِمَوْتِهِ، فَضَرَبُوا بِهِ الْأَمْثَالَ (٦٤).

(٦٠) انظر: سورة لقمان، وتفسير الطبري ج ٢١ ص ٣٩.  
(٦١) في المثل: «أحكَم من لُقْمَانَ»: مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٢٢، وجمهرة الأمثال ج ١ ص

٤٠٥، والدرة الفاخرة ج ١ ص ١٦٢.

(٦٢) أبو حاتم السجستاني: المُعَمَّرُونَ وَالْوَصَايَا، مطبعة البياي الحلبي، القاهرة، ص ٢.

(٦٣) القصة مختصرة بتصرف عن: الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٨ - ٤٩، والبدء والتاريخ ج ١  
ص ٢٨ - ٣٠، وأخبار الزمان ص ١٠٤ ومروج الذهب ج ٢ ص ٩٢ وجمهرة أشعار العرب  
ج ١ ص ٢٦، والفاخر ص ٦٨ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٢٣، وعبون الأخبار ج ٤ ص ٥٩،  
ونهاية الأرب ج ١٣، ص ٦٠.

(٦٤) في المثل: «أتى أُلْبُدٌ عَلَى لُبْدٍ» و«أُعْمَسْرَمُنْ لُبْدٌ» الدرّة الفاخرة ج ١ ص ٢٩٨، ومجمع  
الأمثال ج ٢ ص ٥١، وتمثال الأمثال ص ٢٣١، وجمهرة الأمثال ج ٢ ص ٧٥ والمستقصى  
في أمثال العرب ج ٢ ص ٢٥٤.

قال النابغة الذبياني (٦٥) :

يا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنْدِ      أَقْوَتَ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ  
أَمَسْتَ خَلَاءَ فَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا      أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَيَّ لُبْدِ

فقد استغلَّ النابغة هذه الحكاية في تصوير دَمَارِ الدِّيَارِ ومُحْوَلِهَا وأنْدثارِهَا، واستَقْطَبَ في هذا التصوير حكاية لقمان ونسوره، وفِعْلَ الزَّمَنِ وتأثيره في المَوْجُودَاتِ، واستَطَاعَ أَنْ يُحَدِّدَ رُؤَاةَ الشَّعْرِيَّةِ لِفِعْلِ الدَّهْرِ وَسَطْوَتِهِ وَيَطُشُهُ معتمداً على المَوروثِ الثقافي من حكاية لُقْمَانَ وَلُبْدِ.

وقال لبيد بن ربيعة العامري (٦٦) :

ولقد جَرَى لُبْدٌ فَأَذْرَكَ جَرِيَهُ      رَبِيبُ الزَّمَانِ وَكَانَ غَيْرَ مُثْقَلِ  
لَمَّا رَأَى لُبْدُ النُّسُورَ تَتَابَعَتْ      رَفَعَ الْقَوَادِمَ كَالْفَقِيرِ الْأَعْزَلِ  
مِنْ تَحْتِهِ لُقْمَانَ يَرْجُو نَفْعَهُ      ولقد رأى لُقْمَانَ أَنْ لَمْ يَأْتَلِ (٦٧)

فالمرءُ يَهْرُبُ من الموت لكن الموت يُطَارِدُهُ، وَيَدُ الْمَنُونِ تَنَالُهُ أَيَّمَا أَتَجَهَ، وقد أفاد الشاعر من هذه الأسطورة الشَّعْبِيَّةِ ووظَّفَهَا لخدمة المَعْنَى الذي يقصد إليه، فلبد الذي يُمَثِّلُ الإنسانَ يَرَى النُّسُورَ قبله يَهْوِي الواحِدُ بِلَوِّ الأخر، ولا يَتَّعِظُ من غيره فيُحَاوِلُ الهَرَبَ من الموت المَحْتومِ، وَأَيُّنَ المَفْرَّ من ريب المَنُونِ الذي يُطِيحُ بِكُلِّ حَيٍّ . ولُقْمَانَ ونُسُورِهِ يُقَدِّمُهُمُ الشاعرُ الجاهلي أنموذجاً لمصير البشرية: الفناء المحتوم، والموت المؤكَّد.

(٦٥) النابغة الذبياني، الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م، ص ١٦.

(٦٦) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، حققه: إحسان عباس، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٢م ص ٢٧٤.

(٦٧) القوادم: مُقَدِّمُ جناح النسر، الفَقِيرُ: المكسور الفقار، الأعزل من الخيل: العائل الذئب، لم يأتل: لم يُقَصِّرْ في استبقاء النسر والحرص عليها، لكن القدر غلبه.

وهذه الصورة يكررها طرفة بن العبد، فيقول (٦٨):

فَكَيْفَ يُرَجِّي الْمَرْءَ دَهْرًا مُخَلِّدًا      وَأَيَّامَهُ عَمَّا قَلِيلٍ تُحَاسِبُهُ  
أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ تَتَابَعَتْ      عَلَيْهِ النُّسُورُ ثُمَّ غَابَتْ كَوَاكِبُهُ

أما أوس بن حجر، فيرى في «لُبْد» مثلاً للصدقة الكاذبة، والخيانة من الصديق، قال (٦٩):

خَانَتْكَ مِنْهُ مَا عَلِمْتَ كَمَا      خَانَ الْإِخَاءَ خَلِيلَهُ لُبْدُ

واستحال نسر لقمان لدى الشعراء الإسلاميين رمزاً للسلامة وطول العمر، وعندما يتناولون حكايته في أشعارهم يستندون إلى قيم بلاغية أكثر من استنادهم إلى قيم أسطورية، قال سهل بن أبي غالب الخزرجي يصف طول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء (٧٠):

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ      قَدْ ضَجَّ مِنْ طُولِ عُمُرِهِ الْأَبْدُ  
قَدْ شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَانْتَهَلَ الدَّ (م)      هَرُ وَأَثْوَابُ عُمُرِهِ جُدُدُ  
يَا نَسْرَ لُقْمَانَ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ      تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لُبْدُ

\*\*\*

وميز بعض الإخباريين والمفسرين بين لقمان عاد، ولقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم، وزعموا أن لقمان الحكيم عاش في عهد النبي داود، قال الجاحظ (٧١): «ومن القدماء ممن كان يُذكر بالقدْر والرياسة، والبيان

(٦٨) طرفة بن العبد، الديوان، حققه: لطفى الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥م، ص ١٤١.

(٦٩) أوس بن حجر، الديوان، حققه: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧م، ص ٢٢.

(٧٠) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٤٢٣ وج ٦ ص ٣٢٧.

(٧١) الجاحظ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٤ و ٣٦٥، والبرصان والعرجان، حققه: محمد مرسي

الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٠٢.

والخطابة، والحكمة والدهاء: لقمان بن عاد، ولقيم بن لقمان . . وكانت العرب تُعظّم شأنَ لقمان بن عاد الأكبر والأصغر، ولقيم بن لقمان في النبأة والقدر، وفي العلم والحكم، وفي اللسان والجلم، وهذان غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المفسرون .

ويفهم من قول الجاحظ أن لقمان الحكيم هو نفسه لقمان عاد الموصوف بالعلم والحكمة واللسن والجلم والنبأة . وهذا ما أرجحه، وإن كان المفسرون ينكرونه .

ويهمنا هنا أن حكمة لقمان بقيت محفوظة في كتاب إلى مبعث النبي ﷺ وفي حديث سويد بن الصامت أنه مرّ بالرسول ﷺ وهو يحدث أتباعه، فقال له: لعل الذي معك مثل الذي معي، فقال: وما الذي معك؟ قال سويد: مجلة لقمان (يريد كتاباً فيه حكمة لقمان) فقال له الرسول: اعرضها عليّ، فعرضها عليه، فقال له: إن هذا لكلام حسن، والذي معي أفضل، قرآن أنزله الله - تعالى - هو هدى ونور (٧٢) .

وزعم وهب بن منبه أنه قرأ من حكمة لقمان نحواً من عشرة آلاف باب (٧٣) . وقد جمع أحد العلماء حكمته وأمثاله وأخباره في كتاب سماه «أمثال لقمان الحكيم» (٧٤) وقد أورد الجاحظ في البيان والتبيين نماذج من أمثاله وحكمه، قال

---

(٧٢) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: عبد السلام هارون، البابي الحلبي، القاهرة ج ٢ ص ٦٨ . والزمخشري: الفائق ج ١ ص ٢٠٦، واللسان، مادة (جلل) .

(٧٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ): كتاب المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م ص ٢٥ .

(٧٤) كتاب المجلة في الأمثال لأبي عبيد (ت ٢١١ هـ) ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسه ص ٣٤١، ونشر جالان الفرنسي أمثال لقمان سنة ١٧٠٨ م ونشر أمثال لقمان الحكيم، جوزيف دير نبورغ، لندن ١٨٥٠ م، وترجمها إلى الفرنسية دي برسفال ١٨١٨ م وشربونو ١٨٤٧ م ومارسيل سنة ١٧٩٩، ونشرها في هولندا المستشرق أرييانوس، ونشرها في ألمانيا سنة ١٨٤٣ المستشرق الألماني فرايتاج .

لابته : أَيُّ بُنَيَّ ، إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى السُّكُوتِ (٧٥) .

وقال له : يَا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجْرَ ، فَإِنَّكَ إِذَا كَسَلْتَ لَمْ تُؤَدِّ حَقًّا ، وَإِذَا ضَجَرْتَ لَمْ تُصْبِرْ عَلَى حَقِّ (٧٦) .

وقال له : ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، وَلَا تَعْرِفُ أَخَاكَ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ (٧٧) .

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى حِكْمَةِ لُقْمَانَ ، قال المسيب بن علس : (٧٨)

وَأَنْتَ أَيُّنُ حِينَ تَنْسَطِقُ مِنْ لُقْمَانَ لَمَّا عَيَّ بِالْأَمْرِ  
وقال لبيد بن ربيعة (٧٩) :

وَأُخْلَفَ قَسَاءً : لَيْتَنِي وَلَوْ أَنِّي وَأُعْيَا عَلَى لُقْمَانَ حُكْمَ التَّدْبِيرِ  
وقال أبو قيس بن الأسلت في مدح أبي أحيحة سعيد بن العاص (٨٠) :

وَكَانَ أَبُو أَحِيحَةَ قَدْ عَلِمْتُمْ بِمَكَّةَ غَيْرَ مُهْتَضَمٍ ذَمِيمٍ  
إِذَا شَدَّ الْعَصَابَةَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَامَ إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْخُصُومِ

(٧٥) الجاحظ، البيان والتبيين ج ١ ص ٢٦٩ .

(٧٦) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٤ .

(٧٧) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٦ وانظر أنموذجا آخر في البيان والتبيين أيضا ج ٢ ص

١٤٩ ، وروى المقرئ ، أبو عبدالله محمد بن أحمد في كتاب المختار من نوادر الأخبار ،

تحقيق : د . أنور أبو سويلم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦ م ، ص ١٢٥ - وصية مطولة

لللقمان الحكيم . وانظر كذلك غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، دار صعب ، بيروت ،

ص ٨٧ .

(٧٨) الجاحظ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٩ ، وهو منسوب للأعشى ، الديوان ص ٣٥١ .

(٧٩) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٩ . أي في تمنيه وقوله : ليتني . . ولو أنني .

(٨٠) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٩٧ .

وكان البَحْرِيُّ غَدَاةَ جَمْعٍ يُدَافِعُهُمْ بَلْقَمَانَ الْحَكِيمِ.

ويروون أنَّ زَبَانَ بن سِيَارِ الْفَزَارِيِّ رحل مع النابغة الذبياني يريدُ الْعَزْو، فنظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة، فتَطَيَّرَ وَرَجَعَ، ومضى زَبَانُ وعاد بالغنائم، فقال زَبَانُ في ذلك (٨١):

تَخْبِرُ طَيْرَهُ فِيهَا زِيَادٌ      لَتُخْبِرَهُ وَمَا فِيهَا خَبِيرُ  
أَقَامَ كَأَنَّ لُقْمَانَ بن عَادٍ      أَشَارَ لَهُ بِحِكْمَتِهِ مُشِيرُ

وقد أكثر الشعراء الإسلاميون من ذِكرِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ ووصاياه ولسنه وفصاحته وحِكمته (٨٢).

\*\*\*

وَضَرَبُوا الْمَثَلَ بِأَيْسَارِ لُقْمَانَ، قالوا: هم ثمانية رجالٍ من العماليق(\*)، ما فيهم أحدٌ إلا جَمَعَ من الصِّفَاتِ الْكَرِيمَةِ أَسْمَاهَا، فيهم الْجِلْمُ، وَالطُّهْرُ، وَالكَرَمُ. وقد اتَّخَذَهُم شعراء الجاهلية رمزاً لِلسَّمَاحَةِ وَالرَّئَاسَةِ وَالْجُودِ وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِينَ، وَالْجِلْمُ عن السُّفْهَاءِ، قال امرؤ القيس حين نزل على خالد بن سدوس النبهاني (٨٣):

إِذَا مَا كُنْتَ مُفْتَخِرًا فَمَاجِرُ      بَيْتٍ مِثْلَ بَيْتِ بَنِي سَدُوسَا

(٨١) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٤٤٧.

(٨٢) قال الصَّلْتَانُ الْعَبْدِيُّ: «أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى بِنِي... الخ» شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٣ ص ١٢١٠، وقال أبو دلالة الأَسَدِيُّ «فَمَا وَلَدْتُكَ مَرِيَمَ أُمِّ عَيْسَى وَلَمْ يَكْفُكْ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ» ديوانه، تحقيق: رشدي حسن، دار عمار ١٩٨٦، ص ٤٢، وقالت ابنة وثيمة بن عثمان: «بِلِسَانِ لُقْمَانَ بن عَادٍ وَفُضِّلَ خُطْبَتُهُ الْحَكِيمَةَ» البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٣.

(\*) وهم: بيض وحممة (حممة) وطفيل، وذفافة، وملك (مالك) وئميل (ئميل) وفروعة (فروعة) وعمار.

(٨٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت ٥٤٠م): الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ص ٣٤٤. الماء القريس: الجامد من شدة البرد.

بَيْتِ بُصْرُ السُّرُوسَاءِ فِيهِ  
هُمُ أَيَسَارُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ  
قِيَاماً لَا تُنَازِعُ أَوْ جُلُوساً  
إِذَا مَا أَجْمَدَ الْمَاءَ الْقَرِيْسَا

وقال أوس بن حجر: (٨٤)

وَفَتِيَانُ صِدْقٍ لَا تَحْمُ لِحَامُهُمْ  
وَأَيَسَارُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ سَمَاحَةً  
إِذَا شُبَّهَ النَّجْمُ الصُّوَارَ النَّوَافِرَا  
وَجُوداً إِذَا مَا الشُّوْلُ أُمْسَتْ جَرَائِرَا

وقال طرفة بن العبد: (٨٥)

فَفِدَاءٌ لِبَنِي قَيْسٍ عَلَيَّ  
وَهُمُ أَيَسَارُ لُقْمَانَ إِذَا  
لَا يُلِحُونَ عَلَيَّ غَارِمِهِمْ  
وَعَلَى الْأَيَسَارِ تَيْسِيرُ الْعَسِيرِ

وإلى أيسار لقمان كانت إشارة النابغة الذبياني في مدح بني عسان،

قال (٨٦):

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ  
أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٌ  
فَضَّلَ عَلَيَّ النَّاسَ فِي اللَّوَاءِ وَالنَّعْمِ  
مِنَ الْمَعْقَةِ وَالْأَفَاتِ وَالْإِثْمِ  
وَفِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ إِشَارَاتٌ إِلَى قِصَصِ خُرَافِيَّةٍ نَسَجَهَا خِيَالُ الْقَدَمَاءِ  
عَنْ قَوْمِ عَادٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ إِلَّا بَقَايَا مُتَنَاطِرَةٌ، كَحَدِيثِهِمْ عَنْ

(٨٤) أوس بن حجر، الديوان ص ٣٣. نخم لحامهم: يذخرونها فنخّم ونفسد، الصوار: قطع البقر، الشول: جماعة الإبل التي ارتفع لبنها عند الحمل أو البرد أو الجوع. وجرت الناقة: لم تنتج.

(٨٥) طرفة بن العبد، الديوان ص ٧٢.

أبداء الناقة: أشرف أعضائها، والجزر: جمع جزور وهي الناقة المجزورة أي المذبوحة.

(٨٦) النابغة الذبياني، الديوان، ص ١٠١، وانظر أيضاً قول زهير بن مسعود:  
كَأَنَّهُمْ عَادٌ حُلُومًا إِذَا طَاشَ مِنَ الْجَهْلِ الْقَطَارِيْبُ

ومعنى القطاريب هنا: السفهاء الجهال.

يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة. دار الرسالة، بيروت ١٩٨٢م، ص ٩٤.

ومعنى اللأواء في بيت النابغة: الشدة وسوء الحال، والمعقّة: عقوق الرّحم.

«كَلْبٌ طَسْمٌ» وكانوا يضربون به المثل في مكافأة المُحْسِنِ بالإساءة،  
 ويزعمون أن طَسْمًا قَوْمٌ من عاد، انقرضوا، وكان لهم كلب يُحْسِنُونَ إليه،  
 وَيُبَالِغُونَ في تكريمه حتى إنَّهم يسقونه الحليب أيام الجَدْبِ بينما أولادهم  
 مُسْتَعْبِقِينَ، (وقد يكون هذا التكريم من قبيل الطوطمية(٨٧) عند الشعوب  
 البدائية) ويزعمون أن هذا الكلب قد دَلَّ بِنِباحه العدو على مضارب طَسْمِ،  
 فاستباحوهم وقتلوهم.

وقد أفاد طرفة بن العبد من هذه الأسطورة في تصوير إحسانه إلى ملوك  
 المناذرة ومدحه لهم، وما جرَّه هذا المدح وهذا الإحسان من شقاءٍ وبؤس  
 على فاعله، قال: (٨٨)

دُونِ سُهَادٍ كَشَعْلَةَ الْقَبَسِ	هَمٌّ عَرَانِي فَبِتُّ أَدْفَعُهُ
تَقْتُلُ حَالَ النَّعِيمِ بِالْبُؤْسِ	كُنْتُ لَنَا وَالذُّهُورِ آوِنَةَ
يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ	كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ
طُرًّا وَأَذْنَاهُمْ مِنَ الدَّنَسِ	إِنَّ شِرَارَ الْمُلُوكِ قَدْ عَلِمُوا
مَنْ يَأْتِيهِمْ لِلخَنَا فَمُحْتَسِرِ	عَمَرُوا وَقَابُوسَ وَابْنَ أُمِّهِمَا

ومن بقايا أساطير عاد أن رجلاً من العمالقة اسمه «جَمَارٌ» وقيل «عَيْرٌ»  
 كان له بنون وواد خصيب، فأصابته بنيه صاعقة فأحرقتهم، فَكَفَّرَ بِاللَّهِ،  
 وقال: لا أعبد رباً أحرق بني، وكان لا يمرُّ بأرضه أحدٌ إلا دَعَاهُ إلى الكُفْرِ،  
 فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا قَتَلَهُ(٨٩)، فاضربوا بكُفْرِهِ المَثَلَ(٩٠). فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَى واديه

(٨٧) الطوطمية: كلمة أجنبية من لغة هنود أمريكا، دخلت اللغة الإنجليزية، ويراد بها كائنات  
 تحترمها بعض القبائل المتوحشة، ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب تربطه  
 بطوطمه، وقد يكون الطوطم حيواناً أو نباتاً، وهو يحمي صاحبه الذي يحترمه ويقده.  
 انظر: جيمس فريزر، الغصن الذهبي، الهيئة المصرية العامة، مصر ١٩٧١.

(٨٨) طرفة بن العبد، الديوان ص ١٦٥.

(٨٩) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كفر)

(٩٠) في المثل: «أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ» الدرر الفاخرة ج ٢ ص ٣٦٧، مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٦٨.

جمهرة الأمثال ج ٢ ص ١٧٧، ولسان العرب، مادة (كفر) و(حمر).

ناراً - والوادي في لغة أهل اليمن يقال له جَوْف - فأحرقته فما بقي منه شيء ،  
فصربوا به المثل في الإفقار وفي كل ما لا بقية له (٩١) ، وهو الذي عداه امرؤ  
القيس بقوله من معلقته : (٩٢)

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفِيرٍ قَطَعْتُهُ      به الذئب يعوي كالخليع المعيل (٩٣)

ورسم القدماء للقمان صوراً أسطورية في عمره الذي امتد مئات  
السنين ، وزعموا أنه كان يتعدى بجزور ويتعشى بجزور ، وضربوا بأكله  
المثل (٩٤) . وتخلوه كبير الجنة ، قوي البنية ، منجباً ، كبير الرأس ، وضربوا  
برأسه المثل (٩٥) . قال يزيد بن الصعق الكلابي : (٩٦)

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ      فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيءُ بِرَادٍ  
تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْأَفَاقِ حِرْصاً      لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ

ويروون أن أخت لقمان كانت مُحَمِّقَةً (٩٧) وكذلك كان زوجها ، فقالت  
لإحدى نساء لقمان : هذه ليلة طهري ، وهي ليلتك ، فدعيني أنام في  
مَضْجَعِكَ ، فَإِنَّ لُقْمَانَ رَجُلٌ مُنْجِبٌ ، فعسى أن يقع علي فأنجب . فوقع على  
أخته فحملت بلقيم ، وفي ذلك يقول النمر بن تولب : (٩٨)

(٩١) في المثل : «أخلى من جوف حمار» الدرر الفاخرة ج ١ ص ١٨٠ ومجمع الأمثال ج ١ ص

٢٥٧ ، وجمهرة الأمثال ج ١ ص ٤٣٥ والمستقصى ج ١ ص ١٠٩ .

(٩٢) الأنباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٨٠ - ٨١ .

(٩٣) الخليع : المقامر ، المعيل : الكثير العيال .

(٩٤) في المثل : «أكل من لقمان» الدرر الفاخرة ج ١ ص ٧٤ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٨٦ ،

وجمهرة الأمثال ج ١ ص ٢٠١ والمستقصى ج ١ ص ٧ .

(٩٥) نمار القلوب ص ٢٥٧ .

(٩٦) الجاحظ ، الحيوان ج ٣ ص ٦٧ والبيان والتبيين ج ١ ص ١٩٠ .

(٩٧) أي تلبد الحمقى .

(٩٨) النمر بن تولب ، شعره ، صنعة : نوري القيسي ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ ص ١٠٦ -

١٠٧ .

لَقِيمٌ بِنَ لَقْمَانِ مِنْ أُخْتَيْهِ      وَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَأَبْنَمَا  
لِيَالِي حُمُقٍ فَاسْتَحْصَنَتْ      عَلَيْهِ فغُرِّ بِهَا مُظْلِمًا  
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ      فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا

ويروى أن لقمان بن عاد قتل ابنته صخرًا لأنه كان تزوج عدة نساء  
كلهن خنن في أنفسهن (٩٩).

وقد أفاد الشعراء من هذه الحكاية في تصوير براءتهم من ذنوب لم  
يقترفوها، فكان جزاؤهم جزاء صخر ابنة لقمان، قال خفاف بن ندبة: (١٠٠).

وَعِيَّاشُ يُدِبُّ لِي الْمَنَايَا      وَمَا أَذْنِبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرِ  
وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ: (١٠١)

أَتَجْمَعُ تَهَامًا بَلِيلِي إِذَا نَأَتْ      وَهَجْرَانَهَا ظُلْمًا كَمَا ظَلِمْتُ صُحْرُ

---

(٩٩) يبدو أن قصة شهرزاد وشهريار قد استندت في مضمونها إلى هذه الحكاية.

(١٠٠) الجاحظ، الحيوان ج ١ ص ٢٢ وثمار القلوب ص ٢٤٥.

(١٠١) الجاحظ، الحيوان ج ١ ص ٢٢.

## الخلاصة

- (١) حاول هذا البحث تلمس العلاقة بين الشعر الجاهلي والموروث الثقافي القديم في ضوء «قصة عاد» المذكورة في الذكر الحكيم والشعر الجاهلي. وأثبت أن الشعراء العرب قد اتخذوا من عاد - اعتماداً على موروثاتهم التاريخية والأسطورية - رموزاً محدّدة كالقَدَم، والأَصالة والمُلْك، والهَلَاك، والزَّمَن، والحِكْمَة، والجِلْم، والجَزَاء.
- وقد أفاد الشعراء الجاهليون من هذه الرموز في قصائدهم، واستقطبوا معلوماتهم الأسطورية وموروثاتهم الشعبية في الصورة الشعرية.
- (٢) أثبت هذا البحث أن القصيدة الجاهلية تستوعب الحكايات الموروثة والأمثال والمأثورات الشعبية، وتعتمد «الإشارة» و«الرمز» أحياناً بدلاً من التصريح والخطاب المباشر. وتُضهر فيها الثقافة والأساطير القديمة مع التجارب الشخصية والرؤى الشعرية.
- (٣) تأثر الشعر العربي المعاصر بشعراء أوروبية الحديثة في استخدام التراث اليوناني والعالمي وما فيه من أساطير خرافية ورموز للحب والجمال والقهر والحكمة، والخير والشر... مثل: فينوس، وأفروديت، وكيوبيد، وسيزيف...
- وهذا البحث يُدلل على أن العرب في الجاهلية قد استخدموا الرموز الأسطورية والتاريخية في قصائدهم قبل شعراء أوروبية، وأن ما يُظنُّ جديداً في الشعر العربي الحديث، هو في واقعِهِ ليس كذلك.

## المراجع

- الألوسي ، محمود شكري - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، حققه : محمد بهجة الأثري . دار الكتب العلمية ، بيروت .
- أرسطو طاليس ، ١٩٥٣ - فن الشعر ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، ١٩٦٧ م - الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .
- الأعمش الكبير ، ميمون بن قيس ١٩٥٠ م - الديوان ، حققه : محمد محمد حسين . مكتبة الآداب ، مصر .
- امرؤ القيس بن حجر ، ١٩٦٤ م - الديوان ، حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر .
- الأنباري ، محمد بن القاسم ، ١٩٦٩ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، حققه : عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .
- أوس بن حجر ، ١٩٦٧ م - الديوان ، حققه : محمد يوسف نجم . دار صادر ، بيروت .
- التيفاشي ، ١٩٨٠ م - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس . حققه : إحسان عباس . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
- الجاحظ ، عمرو بن بحر ١٩٦٨ م - البيان والتبيين ، حققه : عبد السلام هارون . مطبعة البابي الحلبي مصر ، والحيوان ، حققه عبد السلام هارون . مطبعة البابي الحلبي القاهرة . ١٩٨٧ - البرصان والعرجان ، حققه . محمد مرسي الخولي . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- جواد علي، ١٩٦٨ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . دار العلم للملايين، بيروت .
- خدّاش بن زهير العامري، ١٩٨٦م - شعره، صنعة: يحيى الجبوري . مجمع اللغة العربية، دمشق .
- زهير بن أبي سلمى، ١٩٨٢م - شرح شعره، صنعة ثعلب، حققه: فخر الدين قباوة . دار الآفاق الجديدة، بيروت .
- الزمخشري، ١٩٦٢م - المستقصى في أمثال العرب . حيدرآباد، الدكن، الهند .
- السجستاني، أبو حاتم - المعمرون والوصايا . مطبعة البابي الحلبي، مصر .
- سحيم عبد بني الحسحاس، ١٩٦٨م - الديوان، حققه: عبد العزيز الميمني . دار الكتب المصرية، القاهرة .
- الطبري، محمد بن جرير، ١٩٧٩م - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر، وطبعة المطبعة الحسينية بمصر .
- طرفة بن العبد البكري، ١٩٧٥م - الديوان، حققه: لطفي الصقال . مجمع اللغة العربية، دمشق .
- الطرمّاح بن حكيم، ١٩٦٨م - الديوان، حققه: عزة حسن . طبعة دمشق .
- عبيد بن الأبرص، ١٩٥٧م - الديوان، حققه: حسين نصار . مطبعة البابي الحلبي، القاهرة .
- عدي بن زيد العبادي، ١٩٦٥م - الديوان، حققه: محمد جبار المعبيد .

دار الجمهورية، بغداد.

- العسكري، ١٩٦٤م - جمهرة الأمثال، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم.  
طبعة القاهرة.

- عمرو بن قميئة، ١٩٦٥م - الديوان، حققه: حسن كامل الصيرفي. معهد  
المخطوطات العربية، القاهرة.

- عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ١٩٧٤م - شعره، حققه: مطاع  
الطرايشي - دمشق.

- فريزر، سير جيمس، ١٩٧١م - الغصن الذهبي، ترجمة: أحمد أبو زيد.  
الهيئة المصرية العامة، القاهرة.

- القالي، أبو علي، ١٩٧٠م - أفعال من كذا، حققه: محمد الفاضل بن  
عاشور. تونس.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، ١٩٦٩م - المعارف، حققه: ثروت عكاشة.  
دار المعارف بمصر.

- لبيد بن ربيعة العامري، ١٩٦٢م - الديوان، حققه: إحسان عباس، مطبعة  
وزارة الإرشاد، الكويت.

- مجهول - قصة شداد بن عاد. مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة، بغداد  
رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.

- المرزوقي، أحمد بن محمد، ١٩٦٨م - شرح ديوان الحماسة، حققه:  
أحمد أمين وعبد السلام هارون. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

- المسعودي، علي بن الحسين - التنبيه والإشراف. مطبعة الصاوي. مصر.

- المفضل الضبي بن محمد بن يعلى، ١٩٧٩م - المفضليات، حققه:

- أحمد شاکر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .
- ابن منظور، محمد بن جلال الدين الخزرجي - لسان العرب . الدار المصرية للتأليف، القاهرة .
- الميداني، أحمد بن محمد، ١٩٥٥م - مجمع الأمثال، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السنة المحمدية، مصر .
- النابغة الذبياني، ١٩٧٧م - الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر .
- النمر بن تولب، ١٩٦٨م - شعره، صنعة: نوري القيسي . مطبعة المعارف بمصر .
- ابن هشام، عبد الملك - السيرة النبوية، حققه: عبد السلام هارون . مطبعة البابي الحلبي، مصر .
- الهمداني، الحسن بن أحمد، ١٩٨٠م - الإكليل، حققه: محمد بن علي الأكوغ . طبعة بغداد .
- ياقوت الحموي، ١٩٦٥م - معجم البلدان . دار صادر، بيروت .